(لِقَاء لَيلِي)

النزهات الفردية، رغبة أن تكون وحدك والإصغاء للأرصفة.. جميعها أقنعة تزين مرارة الوحدة وأن لا أحد معك أو يرافقك، ربما كذبتي وقناع وحدتي الليلة أن أعبر للأدب عن امتناني لعشقه، أن أذوب في الحب وأغرق في الحزن بإرادتي وأسبح في الرومانسية، لم أفكر يومًا أن أتخلى عن نزعة التشاؤم التي تنافي طبيعة مرهفة ومرهقة كروحي.

أنا أزهر بالحب، كل الأشياء تستحق أن تصنع بحب، الحب يضمن الجمال.

أما حقيقتي... دائمًا أشعر بالحزن، كلما خلوت للكتابة أصابتني الكآبة واتحدت الأشياء كلها ضدي، ربما لأن الكتابة تعريني أمام نفسي أو أنها تغوص بأعماقي لتنتشل كل ما ظننت أنني دفنته، قلبي يؤلمني كثيرًا والتظاهر أن كل شيء على ما يرام يحلمني عبئًا ثقيلًا، أليست الصداقة خلقت حتى يتخلص المرء من ضجيج أعماقه؟!

أجلس في حديث شيق وطويل أقصِ عمري في صمت لصديقي النيل وتناسيت تمامًا أمر الذرة التي بين يدي، لم يراعي أحدهم طول انشغالي وجاء ليفسد علينا متعة تسامرنا ليلًا واتهمني بالصمت، هتفت أعماقي "لا ذنب لي أنك أحمق" بالتأكيد لن أتخلى عن هدوئي وأقذف في وجهه براكين غضبي، أجبته ببطء أن الصمت أهم طقوس التسامر ليلًا مع النيل.

في انشغال تامٍ أتذكر هزيمة أن أقع ضحية للأوهام التي تدور في رأسي، تأسرني أولًا وتعصف بي ثانيًا فتسخر من مبادئي وتحملني ضريبة الانحناء لقلبي، سخافة كل شيء في نظري وحقارة ما يدور بعقلي.

ارتكب أحدهم جريمة أكثر تطفلا وجلس بجانبي محاولًا قطع الحديث مع رفيقي فثارت كل خلايا غضبي ضد وقاحته ثم صفعتني ووضعتني أمام نفسي في مواجهة ما أتيت لنسيانه، غير آسفة على ما أقول، إنني بحاجة للصديق حاجة الغريق للهواء، حاجة الروح للأمل، حياة ينقصها الحياة دونك أنا يا صديقي.

لو أنك هنا.. لم يجرؤ أحدٌ على اقتحام صمتي.

ثم قال بنبرة مُصطنعة تميل إلى البلادة " ماذا بكِ! يبدو عليكِ الشرود"

صدقني تلك المرة لن أفسد ذوقي، ميراث حقارة التفكير وانعدام الشعور يزعجني مهما حاولت تجاهله.

فقط سأكرر الامتنان للأدب، سأجيب إن كنت تسأل عن الشرود، فقط أمنح القمر فرصة ليتأملني، أدّع له وقتًا كافيًا ليكتب أبيات شعره عني ليقصها على نجومه، أعرف أن إحداهنّ تغار مني، ويبهجني أن تبقى ساهرة كل هذا المساء تراقب حديثي مع النيل، ربما برد الذرة قليلًا، لكن متعة صمت الحديث تشعل بداخلي نزعة تأمل روعة الليل، قبيح جدًا الظلام والأغلب أنه شبحًا، لكن القمر بضعفه وضجره وصداقاته مع ملايين النجمات تجعل المشهد غاية في المتعة، سأشاهده كل ليلة وأتركه ينام ليغفل عن كوني الشمس، يحيني الشغف ويقتلني الانطفاء.